أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
ISSN 2773-2940 EISSN....-.... ـــ المجلد 01 العدد 02 (سبتمبر، 2019م) ص من 59 إلى 82

راهن النقد الثقافي و آفاق الدراسات البينية

من الخطاب الأدبي إلى الخطاب الثقافي ـ مقاربة في نقد النقد ـ

The Actual Cultural Criticism and Horizons of Interdisciplinary Studies - From Literary to Cultural Discourse – An Approach in Criticism Critique

أ. د . محمد زرمان* ، ط. د. نورالدين حديد ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة باتنة 1، facbatna@gmail.com

جامعة باتنة 1، haddid1985@gmail.com

تاريخ الإرسال	2019/04/26م	تاريخ القبول	2019/06/04م

ملخص

يتقصد النقد الثقافي الملتف بعباءة الدراسات البينية تحرير المخيال العربي من الأسر الذي أوقعته فيه النخبوية الشعرية الموروثة، وتخليص الوعي الجمعي العربي مما يكبله، لقد مثل مشروع النقد الثقافي للغذامي لحظة فارقة في الزمن العربي الراهن؛ إذ جاء متسقا ومتساوقا مع تحولات طرأت على مشهد الثقافة الإنسانية، فقد كانت وظيفة المثقف البحث عن المثل المتعالية التي ينتجها العقل النظري؛ وإذ بوظيفته تتحول إلى البحث في الشأن اليومي، ليصبح النقد الثقافي مهموما بحياة الناس. ينبني هذا البحث على جملة من الأهداف، أهمها: محاولة بناء تصور معرفي وإطار منهجي متكامل بين حقلي النقد الثقافي والدراسات البينية، محاولة التأسيس لمقاربة معرفية بينية بين حقلي النقد الثقافي والدراسات البينية.، إماطة اللثام عن الإسهامات والمنجزات العربية في مجال النقد الثقافي والدراسات البينية.

الكلمات المفتاحية: نقد ثقافي؛ دراسات بينية؛ خطاب أدبي؛ خطاب ثقافي؛ نقد النقد

Abstract

Cultural Criticism revolving around interdisciplinary studies, aims to liberate the Arab imagination from the captivity caused by inherited poetic elitism and rescuing Arab collective consciousness from restriction. Al-Ghadhami’s cultural criticism project presented a defining moment in the current Arab era. This was consistent with transformations characterizing the human culture scenery. The intellectual’s task was to search for transcendent values produced by the theoretical mind. Thus, his job switches to researching daily affairs and cultural criticism becomes concerned with people's lives. The current research attempts to build a cognitive perception and integrated methodological framework between cultural criticism and interdisciplinary studies fields. It also aims at establishing an interdisciplinary approach between cultural criticism and interdisciplinary studies fields; Unveiling the Arab contributions and achievements in cultural criticism field and interdisciplinary studies.

Keywords: Cultural Criticism; Interdisciplinary Studies;Literary Discourse; Cultural Discourse: Critique of Criticism.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة

يفرض موضوع راهن النقد الثقافي وآفاق الدراسات البينية أهمية كبرى، في الدراسات النقدية العربية المعاصرة؛ كون أنّه يبحث في حقيقة هذا المبحث النقدي وارتباطه القوي بالواقع السوسيوثقافي في العالم العربي، من جهة المدخلات المعرفية (المرجعيات والمفاهيم) والمخرجات الثقافية (الحضور والأبعاد)؛ وذلك من خلال تسليط الضوء على التجربة العربية الرائدة في هذا المجال، نعني بذلك تجربة الناقد السعودي محمد عبد الله الغذامي؛ إذ تمثل تجربته صبوة معرفية في تحقيق القفزة النوعية من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي؛ فمشروع الغذامي يتمثل في عودته إلى التراث والبلاغة العربية واستنطاق نصوصها واستخلاص مفاهيم ومصطلحات مركزية في بنائها المعرفي، وقام بتحويرها وتحيينها بما يناسب الراهن الثقافي والحضاري لتدل على ما هو ثقافي، لأن البلاغة كما هو معلوم تروم الجوانب الجمالية في النصوص، لكن الغذامي يرى بأن هدف النقد الثقافي ليس البحث فيما هو جمالي كما هو شأن النقد الأدبي، بل البحث في المخبوء أو الخفي وراء كل ما هو جمالي، فخطاب الشعر مثلا يهتم بالصور الشعرية وجمالياتها وطريقة البناء والإيقاع، وهذا ما ينبري له النقد الأدبي، ولكننا.

كما يذهب الغذامي . كثيرا ما لا ننتبه إلى العيوب النسقية التي تكون وراء هذا الجمال ونُصاب بالعمى الثقافي على حد تعبيره، فلا نكون قادرين على اكتشاف العيوب الثاوية في ذلك الخطاب، وهذا ما يسمى بالاستهلاك الثقافي الذي يحلله النقد الأدبي، أما النقد الثقافي فيقدم نفسه بطريقة مغايرة بهدف البحث في الأنساق المضمرة خاصة فيما يسميه الغذامي بمفهوم الطاغية والفحل...، بهذا المعنى فالنقد الثقافي نشاط أوسع من المناهج النقدية الأخرى، ويهدف أساسا إلى كشف المضمرات النسقية في الخطاب وترسيخ مبادئ البينية والغيرية والاختلاف...أو من حيث المنهج المتبع في التحليل (تحليل الخطاب، التحليل

التاريخي والنفسي، سيمياء الثقافة، ...). محققا بهذا مسعى التكامل المعرفي بين مختلف التخصصات عبر ما يعرف بالدارسات البينية.

على أساس هذا الطرح المنهجي، يتسنى لنا الجمع بين حقلين معرفيين نراهما متكاملين، حقل الدراسات الثقافية وحقل الدراسات البينية.والبحث أيضا في كنه العلاقة الكامنة والجوهرية بينها، وسبّر غور نقاط التشاكل والاختلاف بينها، ومدى تأثير الواحدة منهما على الأخرى؛ في سؤال إشكالي أنطولوجي مفاده: إلى أي مدى يمكن للنقد الثقافي أن يبني مقاربة معرفية بينية تسعى لتحقيق الأهداف المعرفية للدراسات البينية؟ بيان مدى تأثير هذه الدراسات والإسهامات في إعادة تأثيث الواقع السوسيوثقافي العربي والتوافق مع تطلعات النخبة الثقافية العربية وصناع القرار في العالم العربي والوصول بهذه الدراسات إلى مستوى المشترك المرجعي ورسم آفاق جديدة للوحدة العربية في حقل العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى.

يعد النقد الثقافي من أحدث التوجهات النقدية والمعرفية التي عرفها العالم الغربي في نهاية القرن الماضي، كبديل منهجي مغاير للسائد النقدي الحديث والمعاصر؛ وقد تمظهر في نقد المقولات المركزية للنقد الأدبي وعلى رأسها مصطلح ومفهوم الجمالية، إلى نقد ثقافي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة والثاوية في الأبنية اللغوية للنصوص الأدبية والكشف عن الحمولة المعرفية التي أكسبتها التعالقات العرضية بين العلوم والاختصاصات(كعلم النفس والاجتماع والإحصاء والاقتصاد المعرفي وعلوم الاتصال والتكنولوجيا الرقمية والعوالم الافتراضية...)، مما دفع إلى فتح آفاق جديدة ومدّ جسر معرفي نحو الدراسات البينية، وذلك من خلال تضافر علوم إنسانية أبرزها نظرية الأدب وعلم الجمال والتحليل النفسي

والفلسفي والنظرية الماركسية والتاريخانية الجديدة وعلم الاجتماع وعلم العلامات أو السيميولوجيا.

لقد كان تلقي العرب للنقد الثقافي متفاوتا بين التأصيل النظري عبر الترجمة والتعريب، والتأليف القائم على استنساخ وتقليد النموذج الغربي، ثم محاولة تطبيق ذلك عبر فهم هذا النموذج، لتقديم رؤية خاصة نابعة من خصوصية النظرة ذاتها.

وهنا تواجهنا إشكالية المثاقفة وقضية انتقال المناهج النقدية الغربية إلى الخطاب النقدي العربي؛ فالاستلاب الفكري والتأثر بالمنجز الغربي نتج عنه اضطراب نقدي في نقل المفاهيم والمصطلحات وتكوين المرجعات وعدم القدرة على تقديم آليات منهجية في التعامل مع النصوص الأدبية والثقافية عموما، ما تسبب في ثقافة الشرخ والتيه، على حدّ تعبير عبد العزيز حمودة، في ظل غياب فلسفة واضحة للمثاقفة النقدية الهادفة، التي تكشف عن هوية التفكير النقدي العربي وأهم نقاط القوة والضعف فيه، ومحاولة تقديم مشاريع أصيلة وحتى مستوردة تكون شبيهة بالمسار الفكري للعقل الغربي، وتعمل على إنتاج نماذج تفسيرية وتأويلية للنصوص المختلفة وتوحيد القنوات الأساسية والمشتركة للفهم والتحليل والإدراك الكلي لمنطق الأشياء والظواهر من قبيل المصطلح والمفهوم والأداة المنهجية والمقولات المركزية الكبرى وتحديد مستوى ابستيمولوجي لتوظيف المرجعيات المعرفية لهذه المنظومة النقدية؛ كلها عوامل مجتمعة تحقق مستوى التقارب المعرفي والتواصل العرضي بين الدراسات البينية في حقل الدراسات الثقافية، والبحث في القضايا المصيرية للعالم العربي (كالتخلف والتبعية والجهل والأمية والحروب والصراعات الداخلية والعلاقة بين الثقافة والسياسة والأدب والمجتمع وتكوين الثقافة المرجعية ... والقدرة على التثاقف مع المعطى الثقافي الغربي بفلسفاته ومضامينه، وما يصدر عنه من تيارات وأفكار ونماذج، ... إلخ.

2 ـ راهن النقد الثقافي و آفاق الدراسات البينية: أي مفهوم؟ و أية علاقة؟

لم تزل الرؤية غير واضحة المعالم وغير مكتملة الصورة إلى حدّ التسليم والتحديد النقدي والزمني لميلاد النقد الثقافي في النقد العربي المعاصر، بل تظل مليئة بالضبابية وعدم الإجماع حتى بعد مرور خمسة عشر عاما على ظهور مصطلح "النقد الثقافي" في الثقافة العربية، سواء كان ذلك عند عدد من المختصين في مجال الدراسات النقدية أم الفلسفية أم في الدراسات البينية المتداخلة وآفاقها؛ التي أصبحت ميزة للدراسات ما بعد البنيوية، وما رافق هذا المصطلح من تأصيل للمصطلحات وتطبيق للمفاهيم والآليات، وراهنه الذي يرتكز على صلاته بآفاق الدراسات البينية.

بدأ النقد الثقافي على يد الناقد الأمريكي ليتش في أوائل التسعينيات 1992م تقريبا، الأمر الذي جعل "مصطلح النقد الثقافي لم يتبلور واقعيا إلا مع الناقد الأمريكي فنسنت ب ليتش (Vincent b. Leach) الذي أصدر سنة 1992م كتابا قيما في هذا الشأن، وهو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظريات الأدب لما بعد الحداثة واهتم بدراسة الخطابات في ضوء التاريخ والاجتماع والسياسة المؤسساتية ومناهج النقد الأدبي" (خليل، 2012، صفحة11)، بعد ذلك تأتي مرحلة المثاقفة العربية لهذه التجربة الغربية في تجربة الناقد السعودي عبد الله الغذامي سنة 2000م وهو تاريخ صدور كتاب النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية".

لا يمثل مصطلح النقد الثقافي في علاقته بالدراسات البينية علما محددا أو مجالا معرفيا متميزا أو نظرية محددة، (المشكلة لا نجده في أغلب المعاجم المتخصصة في المصطلحات الأجنبية)، وكذا في المعاجم المتخصصة في النظرية النقدية، لذا غاب مصطلح النقد الثقافي عن مجلدات تاريخ النقد الأدبي وعن

معاجم المصطلحات النقدية، فلا نجده مثلا في معجم النظرية النقدية (كمبردج)، إذ تتساوى في ذلك المصطلحات الأجنبية حتى القرن العشرين، مثل: تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov)، فاولر(Roger Fuller)، كودن... وكذلك المعاجم العربية المتداولة، مثل: معجم مجدي وهبة، موسوعة عبد الواحد لؤلؤة، محمد عناني، معجم سعيد علوش، وحتى المعجم الثقافي لعكاشة، وهي كلها معاجم خلت من مصطلح النقد الثقافي، وغاب المصطلح حتى عن المعاجم المتخصصة، فهو مثلا غائب عن المعجم المتخصص بالجانب الثقافي للنقد مثل معجم النظرية الثقافية والنقدية 1996م.

تحدث فنسنت ب ليتش (Vincent b. Leach) في كتاب الدراسات النقدية في أمريكا الذي ترجمه: جابر عصفور، عن مصطلح النقد الثقافي وقال أن هناك حلقة في أمريكا تسمى حلقة نيويورك وظهر عندها مصطلح النقد الثقافي، وكان يسمى أيضا النقد الاجتماعي. وظهر أيضا عند من يسمون باليساريين أو ما بعد الماركسية، وظهر أيضا في كتابات إدوارد سعيد، وهناك من يرى بأن النقد الثقافي ظهر سنة 1949م في مقالة لـ: تيودور أدورنو (Theodore Adorno) بعنوان: النقد الثقافي والمجتمع، وعند يورغن هابرماس (Jürgen Habermas) الذي ينتمي إلى مدرسة فرانكفورت، في كتاب له بعنوان: المحافظون الجدد، النقد الثقافي والحوار التاريخي، وعند مؤرخ أمريكي: هيدن وايت (Hidden White) سنة 1978م في دراسته بعنوان: بلاغيات الخطاب (مقالات في النقد الثقافي)، بمعنى أن النقد الثقافي ظهر كعنوان منذ الخمسينيات؛ إذ " أظهرت بعض الدراسات النقدية لا سيما المهتمة بتاريخ النقد الثقافي ونشأته بعض الآراء حول ريادة النقد الثقافي قبل طروحات الغذامي، ويرى بعض النقاد ومنهم عز الدين المناصرة، إن عملية البحث في تاريخية النقد الثقافي تعود إلى العقود الأولى من القرن العشرين، إذ تجلى الصراع الفكري وتمخض عن صراع منهجي في مقاربة النصوص والظواهر

والأجناس والأشكال الأدبية والثقافية " (حسين جابر، 2017، صفحة 42)، وهذا ما أثبته آرثر آيزابرجر (Arthur Isabberger) بقوله: " فالنقد الثقافي كما اعتقد هو مهمة متداخلة مترابطة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي" (خليل، دط، صفحة 301، 302)، يمكن القول أن النقد الثقافي نشاط معرفي موسع وليس نظرية علمية محددة المعالم، مردّ ذلك تعدد الاختصاصات وتداخل المعارف والاهتمامات، التي تهتم بشؤون الثقافة الإنسانية من نواحيها المختلفة والمتعددة، والتي تحاول تفسير نشاط الإنسان في الفكر والثقافة والإبداع، وتقاطعها أيضا مع مخرجات الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، ما صعّب المأمورية على الدارسين والمختصين في تحديد الحدود الفاصلة بين ميادين الاختصاص ومواطن الاشتغال؛ في ظل غياب الآليات المنهجية في محاورة النصوص الإنسانية المختلفة ومقاربتها بالنصوص المرجعية " كانت الثقافة تتمتع بفضيلة السماح بالاختلاف، مسلمة بتنوع القيم الثقافية وممارساتها، لكن سرعان ما شغلت الفضاء المتاح كله، فصارت تشرح الآن كل شيء، وتحدد ما كان موجودا، وتعرّف هويتنا، وتجعل من أجسادنا حقيقة ملموسة " (بيسلي، 2017، صفحة 17)، هذه حقيقة ملموسة أثبتتها الأبحاث الثقافية وأكدتها الدراسات البينيّة، ما "يصبح تعيين حدود الهوية لدى جماعة اجتماعية بعينها والوقوف على الهويات الثقافية واللغوية لأعضائها أمرا بالغ الصعوبة " (كرامش، 2010، صفحة 112)، فالغذامي رغم تشربه واطلاعه الواسع على الثقافة العربية ومعرفته للثقافة الغربية، لم يترجم كتابا، ولم يقف عند خصوصية هذا الطرح النقدي الجديد، والخطأ الأكبر الذي ارتكبه أنه قدم النقد

الثقافي للمتلقي العربي كنظرية " نظريته هو في النقد الثقافي"، بمعنى نظرية الغذامي في النقد وليس نظرية النقد الثقافي "إن النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته" (إيزابرجر، 2003، صفحة، 30).

إن طرح الغذامي للنقد الثقافي مجانب للصواب، فقد قدّمه على شكل نظرية وهو ليس نظرية، كما قدمه كنظرية الغذامي وليس كنظرية النقد الثقافي، وأُعلن النقد الثقافي بإعلان الغذامي موت النقد الأدبي، وهي مقولة بنيوية بارتية (نسبة إلى رولان بارت (Roland Bart)، فالغذامي أراد من موت النقد الأدبي وضع قطيعة إبستيمولوجية معرفية قصدا، ولكن في الحقيقة القطائع تتم بصورة تراكمية، إذ يتم الانتقال فيها من نسق إلى نسق آخر تبعا لمنطق القوة والتدافع.

كما أنّ الأنساق الكبرى في الغرب والتطورات الثقافية والاجتماعية والسياسية هي التي تحدد طبيعة الانتقال والتأثير والتأثر، وإفرازاتها النظرية والنقدية هي التي تتحكم فيما هو موجود ثقافيا، إذ لا يمكن الإتيان بنظرية غربية (المصدر والمقصد) وإقحامها في الثقافة العربية، دون فهم خصوصياتها ومآربها الخفية وقيمها الحضارية، والأكثر من ذلك أننا نعيش في عالمين مختلفين؛ فالعرب لا ينتجون معرفة رغم وجود كتاب وكتابات،... وليس هناك سياق لهذه المعرفة وتطورها، لأن إنتاج المعرفة مرتبط بالمجتمع وتطوراته، ولهذا لا يمكن تبني نظرية وإدخالها في جسد الثقافة العربية.

أبرز تلقي للنقد الثقافي "هو الحوار الذي كان مع عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي"، يصرح الغذامي قائلا: "وأبدأ بما صار يأتيني من أسئلة حول مشروعي في (النقد الثقافي)، وعن كونه بديلا عن النقد الأدبي وعن إعلان موت النقد الأدبي" (الغذامي، اصطيف، 2004، صفحة 12)، ليرد عليه عبد النبي اصطيف ويفسر سبب هذا الاستلاب الحضاري نحو الغرب "وحقيقة الأمر أن دعاة النقد الثقافي في المجتمعات العربية الحديثة والمعاصرة إنما هم قوم فتنوا بما

حققه " النقد الثقافي " في الغرب، بوصفه جزءا مما بات يشار في الأوساط الجامعية الغربية والأمريكية بـ" الدراسات الثقافية (cultural studies)، فرأوا فيه الحل السحري لجميع مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث، غافلين عن أن هذا النقد الثقافي . على أهمية ما حققه من إنجازات . لم يلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وغير الغربية التي ازدهر فيها" (الغذامي، اصطيف، 2004، صفحة 68، 69).

وبدأ النقاد في الوطن العربي يدافعون عن قضية النقد الأدبي وحضوره في الساحة الثقافية، وضرورة بقائه وتكامله مع نظريات الأدب واستثماره لمختلف النظريات والمناهج في العلوم المختلفة والمتداخلة بدرجة أساس، مع التأكيد على الجانب الجمالي والبعد الوظيفي للنقد الأدبي. على اعتبار أن "النقد الثقافي تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي" (عليمات، 2004، صفحة 64).

فعملية أخذ نظرية غربية بأدواتها ومحاولة استنبات نظرية داخل الثقافة العربية، فيها من المحاذير وبعض التجاوزات الحضارية لمهمة الشهود الثقافي؛ لأن أيّة نظرية مرتبطة بتطور المجتمعات وحراكها الاجتماعي، كما أنّ الغائب من تلقي النقد الثقافي في العالم العربي هو النقد الإبستيمولوجي/ المعرفي بمعنى نقد النظرية. " ومن هنا فإنّ تحديد "الآخر" يتضمن موقفا أخلاقيا ينضمّ إلى الموقف المعرفي" (البازعي، 2008، صفحة 36)، فهل فعلا هذه النظرية متسقة ومنسجمة مع الراهن العربي وشروط تكوين العقل العربي، وليس فيها تناقضات أو إشكالات، إما على مستوى تطبيقاتها وعلاقاتها بسياقها الثقافي العام؟

نقل الغذامي النقد الثقافي الذي هو نشاط وقدمه كنظرية، ولو نظرنا إلى النقد الثقافي في الغرب، لوجدنا ما يسمى بالدراسات الثقافية، وقبلها مدرسة

فرانكفورت النقدية في الخمسينيات، تهتم جميعها بالثقافة ودورها في المجتمع كأداة لفرض السيطرة أو وسيلة لدفع المستعمر وهيمنته الفكرية والوجودية، غير أن النقد الثقافي في أساسه الأنطولوجي ليس له علاقة بالدراسات الثقافية، لأن الدراسات الثقافية اهتمت بشؤون استعمارية وموضوعات كبيرة، أما النقد الثقافي فهو يهتم بموضوعات هامشية وموضوعات يومية (التلفزيون، السينما، في الغرب،...)، هناك انفصال بينه وبين الدراسات الثقافية، كما أنّ حضوره في أمريكا كان كنشاط لتطبيق عموم ومجمل النظريات النقدية وما بعد الحداثية على الهامشي واليومي والعادي، لذا فإن "هذه الاستراتيجية تتأسس على الوعي بالبعد الثقافي للعنصر، بالإضافة إلى الوعي بالبعد الجمالي للعنصر نفسه داخل النص" (أحمد يوسف، 2007، صفحة 177)، يصرح عبد الله الغذامي أن دراسته نصوصيّة تمتد إلى الدراسات البينية كاللسانيات وتحليل الخطاب؛ فالنظرية تختلف جوهرا وأساسا عن الاتجاه، إذ لابد للنظرية أن تكون لها صياغة محكمة وأكاديمية ولها سياق أكاديمي محكم، أما تأثيرات النظرية هي التي تولد الاتجاهات المتعددة.

عموما الدراسات الخطابية في الغرب دراسات نظرية تحاول استعمال اللسانيات استعمالا احترافيا وبمختلف المناهج والآليات، وتنتقد الثقافة بمختلف أشكالها وتعابيرها، وترتكز على المقولات المهيمنة في المجتمع الغربي. غير أنّها لم تسلم من بعض الإشكالات والمعيقات في تحديد ميدان وتخصص النقد الثقافي والدراسات الثقافية وطريقة توظيف مخرجات الدراسات البينية؛ "فعلى سبيل المثال نرى أن أدورنو (Theodore Adorno) أن مصطلح " النقد الثقافي" نفسه يتضمن إشكالية أساسية. ويرجع ارتيابه فيه إلى خصائص السياق الألماني حيث نجد في الصورة الألمانية لهذا المصطلح Kulturkritik أصداء لقيم الموظفين المهنيين، أو قيم " الإنسان غير السياسي "الذي وصفه توماس مان ((Thomas

Mann في المقال الذي نشره عام 1916" (وولين، 2016، صفحة 11). فالدراسات الخطابية غير متماسكة في أمريكا ولكن في بريطانيا وأوروبا دراسات متماسكة. إذا انتقلنا من الدراسات الثقافية إلى الدراسات الخطابية، فإما أن نلتزم بشرط الدراسات الخطابية المنهجي، وأما أن ندخل ضمن الدراسات الثقافية وهي دراسات متشعبة ومتعددة لا نظرية لها، وترتكز أساسا على الخوض في آفاق الدراسات البينية.

3 ـ من الخطاب الأدبي إلى الخطاب الثقافي/ قراءة في منعطفات التحول

انطلاقا من كون النقد الثقافي نشاطا متنوعا أو رؤية متكاملة تتجه إلى النص سواء كان أدبيا أم غير أدبي تنطلق من مفهوم الثقافة كمحدد معرفي، خاصة وأنّ هذا المفهوم لديه من التعريفات ما يدعو إلى التأمل والتساؤل، لتعدد الاتجاهات النقدية والفكرية في تناول المفهوم نفسه، هل تمثل الثقافة مجموعة من التعريفات التي تميز العارف عن الجاهل؟ أم هي مجموعة من النظم التي تمثل العادات والتقاليد التي يحتويها مجتمع أيا كان هذا المجتمع سواء كان بدائيا أم متمدنا.

إنّ التحول في مفهوم ماهية الثقافة جزء من مشروعية النقد الثقافي في التحول من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي، والسعي إلى ربط الصلة بينه وبين عديد الدراسات البينية، بمعنى أنه مفهومه قد ابتعد عن المعيارية والنمطية، وتحول إلى نظم شمولية تمثل كافة الأعراف والتقاليد باعتبارها جزءا من البناء الإنساني.

ولكن مادام يمكن أن نقول عن نقد امتد على بساط زمني طويل وهو يهتم بالجانب الأدبي، وتحديدا عندما بدأت الشعرية البنيوية وأطروحات رومان جاكبسون (Roman Jacobson) وسؤاله: ما الأدب؟ وهو السؤال الذي كان يبحث عن الخصائص النوعية أو فرادة العمل الأدبي، أو ما الذي يجعل العمل الأدبي

ينتج أدبيته/ جماليته؟ هذا انحصر في البعد الجمالي، ولكن هل البعد الجمالي هو عيب في النص؟ بمعنى هل ابتعاد النقد الثقافي عن تقويم القيم الجمالية في النص يعني أن الالتفات إلى البعد الجمالي في النص يمثل عيبا؟ هل يعد هذا التحول والانعطاف من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي إشكالية؟ هذه هي الإشكالية التي كانت تقف أمام النقد الثقافي، والتي توقعنا. كما يرى الغذامي في "حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت الجمالي" (الغذامي، 2000، صفحة 8).

فالنقد الأدبي حين شهد تحولات على المستوى السياقي كان ينظر إلى النص بوصفه عملا أدبيا، وهذا العمل يحتاج إلى رؤية داخل النص وإلى سياقات خارجية منتجة، ثم حصل التحول حين نظر إلى العمل بوصفه نصا، والنص هو الكامن والجامع لكل الموضوعات الجمالية دون الحاجة إلى الرؤية السياقية، ابتعد النقد الثقافي عن هذا المفهوم عن النص بوصفه عملا ثم بوصفه نصا، ثم انتقل إليه بوصفه خطابا، فأصبح المصطلح التابع والملازم للنقد الثقافي هو الخطاب.

إذن ما العلاقة بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي؟ هناك من يرى أن الدراسات الثقافية تعني الحقول التي تشمل كافة النظريات والتوجهات والمعارف التي تعبر عن الثقافة التي امتصها النص، ويأتي النقد الثقافي بوصفه بُعدا إجرائيا لهذه التوجهات الثقافية، من خلال الحديث عن الأنساق التي يحتويها هذا النص. لكن ليس من السهل أن يكون هذا التحول من النقد الأدبي الذي يعنى بالقيم الجمالية المنتجة للنص، إلى أن يبتعد عن هذه المنطقة ويعتبر النص ليس قيمة جمالية فحسب، بل هو مادة خام؛ هذه المادة تنشئ الأنساق الثقافية التي أنتجته وتأثرت به.

4 ـ النقد الثقافي عربيا و آفاق الدراسات البينية: إكراهات الإسقاط

هناك مراحل تمهيدية لبداية النقد الثقافي، بدأت هذه المراحل التمهيدية كما يرى النقاد الثقافيون من أنّ النقاد الماركسيين هم الذين مهدوا البساط للتوجهات الثقافية في العمل الأدبي، والتي بدأت بميشال فوكو ونقاشه لمفهوم السلطة، وبحوارية ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) وأنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci)، والحديث أيضا عن البروليتاريا وعن الراديكالي وعن المثقف العضوي؛ فهي كلها مراحل تمهيدية لبرمجة وتأطير وتنظير النقد الثقافي؛ بمعنى أنّه بدأ التحول من الماركسية إلى الحوارية، ومن الشك إلى اليقين، ومن السلطة والهيمنة إلى المؤاساة، ومن الواحد إلى التعددية، ومفهوم "التعددية" هو الذي أعطى إجازة للنقد الثقافي في التحول من النص الفوقي العلوي الجمالي إلى النصوص الأخرى الشعبويّة والهامشيّة الرصيفيّة، ذلك لأن النص الجمالي طالما قد تأثر بالسلطة الجمالية وهذا ما أدى إلى إنتاج المتلقي المحافظ بمعنى أننا ونحن نستمتع بقصيدة ونهيأ الذهن إنها قصيدة جاءت بلغة سليمة وفصيحة، لماذا لا يهتم هذا المتلقي المحافظ بنص أدبي يكتب بلغة شعبية، هو قد يطرب لها ويتأثر به، لكن هل يسمح له هذا التلقي الخفي أن يكون هذا النص ضمن المنطقة الرسمية للنصوص الأدبية، لماذا هو يعجب بها شخصيا ولا يعجب بها رسميا؟ لماذا نميل إلى هذا النص الذي يكتب بلغة موروثة وبقيم جمالية موروثة؟ ولا نميل إلى نفس هذه القيم الجمالية التي تكتب بلغة شعبية؟

وهو طرح من أطروحات النقد الثقافي وجزء من تهشيم المركزية والتوجه إلى النصوص الشعبوية الهامشية، لكن هذا البعد لا يخلو من بُعد سياسي، بمعنى أنه إذا نظرنا إلى المنجز الأدبي العربي من هذا البعد السياسي، نرى أن هذا النص كثيرا ما كان قرينا بالسلطة، بمعنى أن الاقترانات الجمالية تأتي موازية لنسق

السلطة التي تحاول أن تجر هذه الأبعاد الجمالية إلى ما يخدم أنساقها المضمرة. لكن هل هذا يقود إلى القول بأن هناك نصا يمكن أن يكون نصا سلطويا مركزيا؟ وهناك نص معرض لهذه السلطة؟ وأيهما أكثر هيمنة على العقل الأدبي العربي؟ هل هو النص السلطوي بما تنشئه من قيم جمالية تأثيرية، بعبر المتلقي المحافظ بهذه القيم الجمالية تصفيقا وإعجابا بهذا المفهوم؟ وهل النص الشعبوي هو نص متمرد بالضرورة على هذه القيم الجمالية؟ هذا هو السؤال الإشكالي الذي يطرحه النقد الثقافي.

تعددت رؤى ومواقف النقاد العرب تجاه هذه المقاربة الجديدة في النقد الأدبي، وصلت أحيانا إلى حدّ الخصومة النقدية، وذلك من جهة الريادة والتنظير؛ وبيان النص التأسيسي أو الإرهاصات الأولى في الكتابات العربية الحديثة لهذه المقاربة الجديدة، إذ يمكن الإشارة " في تحديد نوع من الريادة في هذا النقد إلى أنّ هناك ثلاثة كتب: (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين، وهو صادر عام 1938م، وهناك كتابان صدرا في الخمسينات هما: (مشكلة الثقافة) لمالك بن نبي، وكتاب (في الثقافة المصرية) لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، هذه الكتب تتمحور حول النقد الثقافي للنص الثقافي " (حسين جابر، 2017، صفحة 33، 34).

أما بالنسبة لقضية التأسيس المعرفي لقضية النقد الثقافي وبيان مجال التخصص النقدي لهذه المقاربة الجديدة في النقد العربي الحديث، أي قبل صدور المؤلف العربي الحامل للّواء هذا المشروع الثقافي العربي الجديد، وارتباطها بنقد الرواد؛ إذ " لم يكن الرواد النهضويون الأوائل قد تناسوا قضية النقد الثقافي، لكنهم توسعوا في أمره حتى بات فضفاضا لا ضفاف له غير التاريخ والدين في مواجهتهما الصعبة مع عالم حديث تعامل مع الاثنين بطرق متعددة أساليب متباينة، لكنها جميعا تنتصر إلى روح العصر وتتلقاه وتستقبله، تاركة لمساتها الواضحة في دوافع التغير وسماته" (عبد الله أحمد، 2013، صفحة 47)، وهو

النسق المضمر المتحكم في بنية العقل النقدي العربي قديمه وحديثه، أي غلبة الفكر الموسوعي واعتماد نهج التعميم في الحكم على القضايا الإنسانية والظواهر الفنية. "ثم نقد أدونيس في الثابت والمتحول، بل وكتابات بعض الباحثين المعاصرين كعبد الله العروي ومحمد عابد الجابري وطه عبد الرحمان، وهشام جعيط، وفهمي جدعان وعلي حرب ومحمود أمين العالم، وكثير غير ذلك مما يصعب إحصاؤه." (الرويلي، البازعي، 2002، صفحة 309)، ومع ظهور مؤّلَف عبد الله الغذامي النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ـ مطلع الألفية الجديدة ـ شهدت الساحة الثقافية العربية ردود أفعال متباينة، من تجربة الغذامي في طريقة النظر وتلقي المقولات المركزية العربية المهيمنة على الفكر الإبداعي والنقدي على حد سواء؛ " كتاب. الغذامي خلف نوعا من الحراك الثقافي بين الكتاب العرب تضامنا معه أو مناقشة لأفكاره أو رفضا لأفكار الكتاب جملة وتفصيلا، وهذا يعني أن العقل العربي في تعامله مع الأفكار الجديدة يقع إما في دائرة الانبهار والتبعية الفكرية للآخر الغربي أو يلتزم بالأصول المعرفية والفكرية للتراث ويكون موقفا متشددا بعيدا عن روح الانفتاح والتلاقح الفكري." (عبد الله أحمد، 2013، صفحة 205)، أما بالنسبة للقضية المركزية في مشروع الغذامي وأهم الانزياحات الفكرية الحاصلة والمخالفة لسابقتها في النظرية النقدية وأهم المجالات البينية التي ساهمت في نضج هذه الرؤية .نعني بها اللسانيات والدراسات الخطابية المعاصرة . كعلم النص وتحليل الخطاب، وهي ميلاد مقولة النسق المضمر داخل الخطابات الثقافية؛ " يقتضي الإجراء الأول نوعا من الزحزحة بحيث يتأهل مصطلح النقد ليكون قادرا على استيعاب المهمة الثقافية التي سيقوم بها، ويلزم ذلك إعادة ترتيب لعناصر العملية الأدبية، وتجديد وإضافة إذا لزم الأمر، وهنا يقترح الغذامي أن يشمل ذلك: عناصر الرسالة الأدبية، والمجاز،

والتورية الثقافية، ونوع الدلالة، والجملة النوعية، والمؤلف المزدوج. " (السمهايجي وآخرون، 2003، صفحة 44)، فمن جهة الرسالة الأدبية؛ فقد اعتمد الغذامي مقولة النسق والوظيفة النسقية "ونعني بالنسق الثقافي بكل بساطة مواضعة (اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيتيقية ...) تفرضها، في لحظة معيّنة من تطورها، الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلّها ضمنيا المؤلّف وجمهوره" (كيليطو، 2001، صفحة 8)، وقام بإضافة هذا المحدد التداولي والوظيفي لخطاطة رومان جاكبسون (Roman Jacobson) بخصوص الرسالة اللسانية. على اعتبار أن أي نص/ رسالة تتكون من: المرسل، الرسالة، المرسل إليه، الشفرة، الأداة، السياق. فجاء الغذامي ووضع النسق عنصرا سابعا، لأن هذا النسق. في رأيه. هو محور الاشتغال الثقافي.

فما هو النسق؟ حين نبحث في معجم المصطلحات الألسنية عن مصطلح النسق تكاد كل المعاجم تشير إلى أنه: ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، أو هو جزء من علاقة انتظامية في سياق منتظم، فإذا كان النسق من حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، أليس هذا المفهوم يقترب من مفهوم مصطلح البنية، خاصة وان النقاد البنيويين - وعند رولان بارت(Roland Bart) تحديدا - يقول بأن مفهوم النسق لا يبتعد كثيرا عن مفهوم البنية، فالبنية structure والنسق système، فالمصطلح ينطلق إذن من عباءة فرديناند دوسوسير(Ferdinand de Saussure) ، بمعنى أنّ البنية هي نفسها النسق، وجاء بعده ميشال فوكو (Michel Foucault) ليميز بين هاتين الدلالتين، وقال بأن الفرق بينهما يكمن في أن النسق هو نظام شمولي مجهول المؤلف متاح لكل من يريد استخدامه وحصر البنية في القواعد الثابتة التي تنظم الخطاب " لا نستطيع إعادة بناء منظومة فكرية ما إلا بالاعتماد على مجموعة من الخطابات، ويتم ذلك على نحو يكون الغرض منه هو العثور خلف العبارات على قصدية الذات المتكلمة،

وعلى نشاطها الواعي.. وبالعثور على الكلام الأبكم الهامس الذي لا يتوقف ... يتعلق باستعادة النص الرفيع اللا منظور والذي هو دوما يسري بين السطور المكبوتة ويزاحمها أحيانا " (فوكو، 1987، صفحة 27)، من المصطلحات القرينة بالنقد الثقافي، والمتداخلة مع حقل الدراسات الثقافية والبينية، مصطلح الخطاب، فما المقصود بالخطاب؟ وما الفرق بينه وبين النسق؟

كان فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure) ينظر إلى اللغة باعتبارها دلالات منعزلة عن مدلولاتها، تحتكم إلى العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول. أما الكلام هو مجموع الدلالات التي يشكّلها الاستعمال اللغوي وتشعبه، ومن هذا المنطلق استبعد فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure) الكلام من أطروحاته، واهتم باللغة التي بنى عليها نظريته، يأتي هنا الخطاب ليكون نقطة تلاقى مصطلح اللغة بالكلام، لأن الخطاب هو اللغة في حال الفعل، أي إن الخطاب هو أن تكون اللغة كلاما شفاهيا، ولذلك حين نعرف الخطاب "هو تلفظ وهذا التلفظ يفترض وجود متحدث يسعى إلى التأثير في السامع/المتلقي، ولهذا اقترن الخطاب بالمشافهة، مثلما اقترن بالتأثير، ومن ذلك الخطاب الديني، والخطاب الإعلامي، والخطاب السياسي. وحينما نتحدث عن مهيمن ثقافي ما استطاع أن يحقق بنية تفاعلية جديدة في نمط التلقي والاستقبال وسعى إلى فرض خصوصية ثقافية معينة في التلقي والتمثل والحضور من خلال إبداء الرأي والمشاركة في صنع القرار وبيان الموقف الفكري والنقدي وحتى السياسي منه. الذي يسعى النقد الثقافي إلى تحريره – الموقف- من تلك المركزية الجمالية، التي أصبحت حكرا على المهيمن بغض النظر إن كان هذا المهيمن سلطويا سياسيا أو كان نسقيا، وليس شرطا أن تكون المهيمنة سلطوية فردية إرادية وتجبر الخطاب الثقافي بما يخدم مصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية... إنما قد يكون هذا المهيمن نسقيا

بما توارثه الإنسان باللاوعي، وهذا يصبح سلطة أخرى تضاف إلى السلطة السياسية.

فالغذامي حين جعل النسق بُعدا سابعا أو عنصرا سابعا لخطاطة رومان جاكبسون (Roman Jacobson) السداسية: المرسل، الرسالة، المرسل إليه، الشفرة، الأداة، السياق، النسق؛ أعدّه نقطة التلاقي الحقيقي للنقد الثقافي بالدراسات الثقافية، وعدّه رؤية جديدة في الكشف عن الأنساق الباطنية/المضمرة المنتجة للنص. والسؤال المطروح هنا: هل جاكبسون ـ بتغافل أو بوعي منه ـ قام بإبعاد النسق من عناصره للرسالة السداسية؟ وهل الغذامي قد أدرك عليه هذا النسق؟ كما أدرك الأخفش على الخليل بالبحر المتداول؟ هل هي إضافة من طرف الغذامي في هذا الصدد؟ أم أنّ هناك اختلافا في الرؤية؟

5 ـ النقد الثقافي عربيا و آفاق الدراسات البينية: أعطاب التطبيق

لقد أقحم الغذامي عنصر النسق في هذه الخطاطة السداسية، لأن رومان جاكبسون (Roman Jacobson) تحدث عن النص/الرسالة، وكل هذه العناصر تجتمع في مصطلح واحد هو البنية، فالمرسل والمرسل إليه والشفرة والأداة والسياق، كلها تخدم في توضيح البنية التي لها علاقة بالنص، لم يكن رومان جاكبسون (Roman Jacobson) منشغلا بالخطاب الشفاهي حتى يضيف العنصر النسقي لتوضيح الرسالة، وبالتالي فهذا العنصر النسقي في الرسالة الذي أضافه الغذامي، ما هو إلا محاولة لكي يحقق فرادة شخصية لتوجهاته النسقية في دراسة النص الأدبي؛ إضافة إلى أن الغذامي إذا كان معنيا بالنقد الثقافي ـ هذا النقد التحرري ـ الذي يهشم مركزية النص والسلطة الجمالية المقرونة بالسلطة السياسية " لتصبح امتدادا لا متناهيا " (بنكراد، 2006، صفحة 151).

ومن ثمة هل استطاع هذا النسق أن يكون خطابا إجرائيا وعمليا وينتقد بذلك الخطاب الديني في مملكته التي ينتمي إليها؟ لماذا كل الشواهد الشعرية التي

ذكرها الغذامي كلها خارج منطقة المملكة (السعودية)؟ أم أنّ المملكة لم تستطع أن تنجب شاعرا يوازي الشعراء الذين هم خارج المملكة، لكن هذا لا يعني ألا يتوجه بنقده إلى النصوص الدينية التي ساعدت على احتكار القيم الجمالية في النص الأدبي وتحويلها إلى قيم سلطوية، فمثلما كان النسق مقحما في رسالته، كان البعد الإجرائي مقحما ومغايرا، ولم يكن أمينا في نقده الثقافي، حين توجه به توجها رياضيا، رغم أنّه ذكر في كتابه بأن هناك محاولات عربية قد سبقته في الإشارة إلى هذا التوجه الثقافي للنص الأدبي، ويستشهد بالوردي، الذي كان معنيا القضايا الاجتماعية أو بالإشكالات الاجتماعية، "هل كان حبا" للسياب، واشتغل النقد كثيرا على هذه الإشكالية الزمنية.

كذلك استوقفته هذه الفكرة نفسها في الحديث عن ريادة النقد الثقافي، وحين حسمت نازك الملائكة هذا الجدل بقولها: لو لم أكتب قصيدة "الكوليرا" ولم يكتب السياب "هل كان حبا"، لكان قد ابتدأ الشعر الحر...، هذا يعني أنه كان هناك وعي نسقي ثقافي، يعبر عن وعي شمولي هو الذي أدى إلى إنتاج هذه الظاهرة، وتحولت من كونها شفرة وأصبحت سياقا، وإلا كيف نفسر تاريخ الشعر العربي الحديث من نازك الملائكة أو من السياب، ولا ينظر إلى البدايات الأولى التي ابتدأ فيها الشعر الحر، الشيء نفسه ينطبق على النقد الثقافي يبدأ بالإشارة فيه إلى الوردي، حتى بعض النقاد العراقيين حين يتحدثون عن أرشفة النقد الثقافي. وهو ليس بالبعد الزمني الطويل حتى يحتاج إلى أرشفة. لكنهم أيضا يبتدئون من الوردي، وكأن النقد الثقافي قد اقترن فقط بالأبعاد الاجتماعية، ونقده النص في علاقته بالطبقات الاجتماعية. الغذامي يميل إلى محاورة رولان بارت في موضوع البنيوية ومن ثم مقولة النسق، لكن نجده لم يؤسس له منهجا يرتكز على قاعدة فكرية يمكن أن تؤسس له منهجا ثقافيا يعتد به في مقاربة النصوص الثقافية عموما،

وإنما بقيّ يناقش هذه النظرية دون إعطاء رأي، مما أوقعه في أعطاب كبيرة أثناء التطبيق، وكل الآراء التي أعطاها كانت سطحية وعامة. إضافة إلى أن من يطلع على الكتب التي سبقت كتاب النقد الثقافي للغذامي، يجد أن البوصلة تتجه إلى الدراسات الثقافية الأنثروبولوجية، ولم تعن بالدراسات الاجتماعية كما يذهب الغذامي، ولكن الغذامي لم يعتد الدخول في البحوث الأنثروبولوجية، لذلك فضل الجانب الاجتماعي، فكان أقرب إلى الوردي في تحميله الشعر الذي اعتبره مؤسسة أفسدت النسقية الحضارية العربية، من خلال تناوله قضية الفحولة في الشعر العربي، وانتقل من نقد النصوص إلى النقد السياسي.

فالنقد الثقافي يسكت عن موضوع السلطة ويتجه صوب الأنساق المضمرة والمسيرة للإبداع، لأن التورط في موضوع السلطة يبطل فاعلية النقد الثقافي، لذلك اتجه إلى دراسة تجارب مجموعة من الشعراء مثل: أدونيس... إضافة إلى أن كتاب النقد الثقافي للغذامي لا يؤسس لنظرية لأن مفهوم النظرية يحتاج إلى مشروع متكامل، لذلك كان إجرائيا أكثر مما كان تنظيريا. كما أنّ الغذامي لا يُفهم إلا من خلال النصوص الإجرائية التي شرحها (من التشريح) أدونيس، المتنبي...فهو ربما يدعو إلى تأسيس شعرية جديدة توازي شعرية جمالية مثلما فعل أدونيس في كتابه: الشعرية العربية، أو مثلما فعل كمال أبو ديب في كتابه: في الشعرية، لكن هو كان يركز على أن النقد الثقافي كان نشاطا وهذا النشاط ليس منعزلا عن النظريات الثقافية التي يستمد مشروعيته منها.

يرى الغذامي ـ وهو رائد النقد الثقافي ـ يقوم على الاعتماد على أدوات الخطابات وعلى تحليل الخطاب، وأن هذه دراسة خطابية. فهل ما يقدمه الغذامي، عبارة عن دراسة خطابية أو نظرية مستقرة؟ وكيف تلقاها النقاد العرب؟ وكيف قام بنقلها إلى الثقافة العربية في كتابه النقد الثقافي.

6 ـ خاتمة

تأسيسا على ما تقدم، يمكن تسجيل ـ بعد التحليل والمناقشة ـ ما يلي:

ـ النقد الثقافي يدرس الأدب بوصفه ظاهرة ثقافية تمتدّ بجذورها إلى آفاق الدراسات البينية مؤثرة ومتأثرة بها.

ـ ينبري اشتغال النقد الثقافي في حواريته مع النصوص الثقافية عموما على كشف الأنساق المضمرة والمتجذرة والفاعلة في تشكيل الخطاب المخالّف والمتنوّع والمتعدّد في مقابل الخطاب المركزي والمؤسساتي الناظم والمنتظم في ممارسات قديمة، في ظل التطور التكنولوجي ومطارحات الفعل الافتراضي، ما يستدعي استثمار كل العلوم والاختصاصات البينية والعرضية في الكشف عن أنظمة الخطاب الجديدة ومسايرتها تنظيرا وممارسة.

ـ يتجاوز النقد الثقافي عنصري الشعري والجمالي للنص وينظر إلى النص في ضوء الثقافة التي أنتجته، والعلاقات والوشائج وأواصر القربى بينها وبين مختلف الدراسات البينية.

ـ عرفت المثاقفة العربية لهذه المقاربة الجديدة تجاذبات فكرية شديدة المنزّع والمرجع في الريادة والتنظير أو التطبيق والتمثيل، ورغم وجود قضايا فكرية وثقافية، جديرة بالبحث والتحليل الثقافي إلى أنّ التلقي العربي للمنجز الغربي هو المرجع في الحكم على القضايا المصيرية للأمة العربية.

ـ تعدّ تجربة الناقد السعودي إضافة نوعية للخطاب النقدي العربي المعاصر، رغم ما أصابها من ردّ ورفض ونقد أرادت تجديد الدم في شرايين النقد العربي عن طريق تقويض بعض المقولات المركزية التي كانت ومازالت تشكلّ مرجعية تفسيرية وتأويلية وتقييميّة للنصوص والخطابات الأدبية والثقافية، محاولة استثمار مخرجات النقد النصوصي واللساني الحديث وتوظيف معطيات العلوم

والاختصاصات البينية والعرضية التي تتقاطع وتتشارك في هدف وغاية مشتركة؛ تتمثل في الإضافة النوعيّة للثقافة الإنسانية، وإحداث نوع من التوافق والانسجام والتناسق العضوي بين مقتضيات العلم الحديث ومتطلبات الجماعة البشرية.

ـ أما بالنسبة لنقد تجربة الغذامي في النقد الثقافي، فيتمثل في نقد الفكرة المركزية للمشروع وهي ضرورة تجاوز النقد الأدبي وتجاوز مقولة الجمالي وتعويضها بالنقد الثقافي ومقولة النسق الثقافي المضمر والمجازي؛ فهي فكرة فيها من الحماس والتسرع وغياب الرؤية المنهجية والنظرة الحضارية للمكونات الثقافية الأصيلة والمتأصلة في جسد الثقافة العربية من القديم إلى يومنا هذا، بل ستضل شاهدة على العقل العربي في الشهود الحضاري بين الأمم والمجتمعات، كما أنّ مقولات النقد الثقافي رغم ما يعتريها من غموض كالنسق الثقافي والجملة والوظيفة النسقية والمجاز الكلي والتورية الثقافية تستطيع أن تكون مباحث نقدية معاصرة بامتياز، نظرا للأشواط العلمية التي قطعها النقد الأدبي في التخصص والممارسة، وكذا قضية التعميم والانتقاء عند الاقتضاء لتأكيد المنزع والحكم النقدي في المقاربة أو المفارقة الثقافية. وهذا في رأينا يتعارض مع مسلمات النظرية العلمية؛ لأن الحكم على الشيء جزء من تصوره لا أن نبحث عن المختلف والشاذ ونقيس ونبني عليه الأحكام والتصورات والمشاريع والنظريات، ومن جهة أخرى فإنّ الغذامي في مقارباته النقدية والثقافية يعود لمقولات النقد الأدبي ويضفي عليها لمسة ثقافية لا تسلّم أحيانا من الزلل وسوء التقبل والتمثل.

7 ـ قائمة المصادر والمراجع

1- أحمد يوسف عبد الفتاح. (2007)، استراتيجيات القراءة في النقد الثقافي (نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص)، ع1، م36، يوليو/ سبتمبر، مجلة عالم الفكر.

2- البازعي سعد. (2008)، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، (ط1)، المغرب، لبنان، المركز الثقافي العربي.

3- الرويلي ميجان، البازعي سعد. (2002)، دليل الناقد الأدبي، (ط3)، المغرب، لبنان المركز الثقافي العربي.

4- السماهيجي حسين وآخرون. (2003)، عبد الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، (ط1)، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

5- الغذامي عبد الله محمد، اصطيف عبد النبي. (2004)، نقد أدبي أم نقد ثقافي، (د ط)، دمشق، سوريا، دار الفكر.

6- الغذامي عبد الله. (2000)، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، (ط1)، المغرب، المركز الثقافي العربي.

7- إيزابرجر آرثر. (2003)، النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، (ط1)، مصر، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

8- بنكراد سعيد. (2006)، مسالك المعنى (دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية)، (ط1)، اللاذقية، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.

9- بيلسي كاثرين. (2017)، الثقافة والواقع، نحو نظرية للنقد الثقافي، تر: باسل المسالمة، (ط1)، دمشق، سوريا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.

10- حسين جابر إسراء. (2017)، النقد الثقافي بين الريادة والتنوير (رؤية فلسفية)، مجلة الفلسفة، مكتب الأثير للطباعة والنشر، ع/15.

11- خليل سمير. (2012)، النقد الثقافي (من النص الأدبي إلى الخطاب)، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الجواهري.

12- خليل سمير. (د ت)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي- إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، (د ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

13- عبد الله أحمد عبد الرحمان. (2013)، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي – العراق أنموذجا، (ط1)، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة.

14- عليمات يوسف. (2004)، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجا)، (ط1)، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

15- فوكو ميشيل. (1987)، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، (ط2)، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي.

16- كرامش كلير. (2010)، اللغة والثقافة، تر: أحمد الشيمي، (ط1)، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث.

17- كيليطو عبد الفتاح. (2001)، المقامات ـ السرد والأنساق الثقافية ـ تر: عبد الكبير الشرقاوي، (ط2)، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.

18- وولين ريتشارد. (2016)، مقولات النقد الثقافي (مدرسة فرانكفورت، الوجودية، ما بعد البنيوية)، تر: محمد عناني، (ط1)، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.